



ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 37 (2003), p. 1-30

Usāma Ṭalʿat ʿAbd Al-Naʿīm

العمارة الدفاعية الإسلامية في مدينة لبلة لبله 'Imāra-Al difāʿiya-al islāmiya-fī madīnat fī

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724711714	<i>La pensée et la pratique pharmacologiques d'Avicenne</i>	Sylvie Ayari
9782724711899	<i>BCAI 40</i>	
9782724711288	<i>Karnak-Nord XI</i>	Colin Hope
9782724711622	<i>BIFAO 126</i>	
9782724711059	<i>Les Inscriptions de visiteurs dans les Tombes thébaines</i>	Chloé Ragazzoli
9782724711455	<i>Les émotions dans l'Égypte Ancienne</i>	Rania Y. Merzeban (éd.), Marie-Lys Arnette (éd.), Dimitri Laboury, Cédric Larcher
9782724711639	<i>AnIsl 60</i>	
9782724711448	<i>Athribis XI</i>	Marcus Müller (éd.)

العمارة الدفاعية الإسلامية في مدينة لبلة

كنت قد تناولت في دراسة سابقة الاستحكامات الحربية الإسلامية في مدينة إشبيلية وحصنها: طريانه والفرج^١، وقمت أثناء وجودي في اسبانيا في بعثة لجمع المادة العلمية لهذه الدراسة بزيارة العديد من المدن الأندلسية التي لاتزال محتفظة سواء بكثير أو بقليل من تراثها المعماري والفني الإسلامي، ومن بين تلك المدن لبلة (Niebla) التي تنفرد بين المدن الأندلسية باحتفاظها بأسوارها متكاملة؛ بالإضافة إلى أجزاء من مسجدها الجامع الذي تحول إلى كنيسة تعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا دي لا جرانادا (Santa María de la Granada)، فضلاً عن احتفاظ عمران المدينة داخل الأسوار بتخطيطه الإسلامي المتمثل في الشوارع والدروب الضيقة كثيرة الانحناءات^٢.

ولما كانت المكتبة العربية في مجال الآثار الإسلامية تخلو من دراسة قائمة بذاتها عن هذه المدينة وآثارها؛ لاسيما أسوارها، فقد رأيت تخصيص هذه الدراسة لها في محاولة لإلقاء الضوء على عمارتها وتأريخها، لاسيما أن تلك الأسوار وما ينفتح بها من أبواب تمثل نموذجاً متكاملًا للعمارة الدفاعية الأندلسية ومرحلة هامة من مراحل تطورها.

^٢ عنان، محمد عبدالله، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٩٢.

^١ عبدالنعيم، أسامة طلعت، الاستحكامات الحربية الإسلامية في إشبيلية وضواحيها حتى سقوط دولة الموحدين (٩٣-٦٤٦هـ/٧١٢-١٢٤٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الآثار جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.

وقدمت لهذه الدراسة بعرض لموقع المدينة وخصائصه، وعرضت بعد ذلك ما جاء عن تحصيناتها عند الرحالة والجغرافيون المسلمون، واتبعت بالدور الذى قامت به تلك التحصينات فى تاريخ المدينة السياسى، ثم الدراسة الآثارية التحليلية لسورها، ونظراً لأنه لم يرد فى المصادر والمراجع العربية القديمة التى اطلعت عليها ما يحدد تاريخ بناء هذا السور، فضلاً عن خلوه من النقوش الكتابية؛ فقد آثرت تناول تأريخه بعد عرض وتحليل العناصر المذكورة لاعتماده عليها.

موقع المدينة وخصائصه

لبلة مدينة قديمة أطلق عليها الرومان إيلبولا (Ilipula) وأحاطوها بأسوار حصينة، ثم أطلق عليها القوط الغربيون من بعدهم اسم إبله (Elepla)، واشتق منه المسلمون بعد ذلك الاسم الذى عرفت به^٣. ولبله بكسر اللام وسكون الباء أو بفتح اللام وسكون الباء والوجهان جائزان^٤ حالياً مدينة صغيرة جنوب غرب اسبانيا، وتتبع محافظة أولبة (Huelva) إحدى محافظات إقليم الجنوب المعروف بآندلوثيا (Andalucía). وتقع لبلة على بعد ٧٢ كم غربى إشبيلية، و٣٥ كم شمال شرقى مدينة أولبة عاصمة المحافظة (شكل ١)، والمدينة مشيدة على تل قليل الارتفاع، ويظهر هذا الارتفاع بوضوح فى الجهتين الشرقية والجنوبية، أما فى الجهتين الشمالية والغربية فينبسط مستوياً بميل يكاد لا يلاحظ، وتشرف المدينة فى الجهتين الشرقية والجنوبية على نهر تينتو (Río Tinto) (شكل ٢)^٥ وتعنى: النهر الأحمر، وأطلق عليه الجغرافيون المسلمون: نهر لَهْشَر أو تَهْشَر^٦؛ ونهر

^٦ الرازى (ابى بكر أحمد بن محمد بن موسى) ت ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، صفة الأندلس، قطعة من جغرافية الرازى، ترجمها الأستاذ ليفى بروفنسال إلى اللغة الفرنسية ونشرها فى مجلة الأندلس تحت عنوان ، La «Description de l'Espagne» d'Ahmad al-Razi, Al-Andalus, vol. XVIII, fasc. 1, 1953, p. 91. القزوينى (زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.، ص ٥٥٥.

^٣ Sánchez, Jose Juan de Paz, *La Cultura Islamica en Huelva, Jornadas Europeas*, Junta de Andalucia, 1995, p. 60.

^٤ ابن الشباط (محمد بن على بن محمد) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، صلة السمط وسمه المرط، قطعة من الكتاب فى وصف الأندلس وصقلية، تحقيق د. أحمد مختار العبادى، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص ١٧٤.

^٥ Moreno, María del Mar Pérez, *Niebla Historiada y monumental*, Huelva, 1996, p. 7.

طُنْتُس^٧، وينبع من جبال قَطْرَشَانَه^٨ (Sierra de Aracena) شمال شرق لبلبة^٩، ويمر بها متجهاً إلى الجنوب الغربي حيث يلتقى بوادي القناطر (Río Odiel) عند مدينة أولبة، ثم يصب في المحيط الأطلسي عند جزيرة شلطيش (Saltés).

وكان بالمدينة ثلاثة عيون: الأولى عين لهشر أو تهشر وهي ذاتها النهر السابق ذكره، وانفرد ابن غالب بتسميتها: عين لميس وماؤها عذب غزير^{١٠}، والثانية عين «تنبعث بالشب» وهو المعروف الآن بالشبّة، والثالثة «تنبعث بالزجاج» وهي كبريتات الحديد حسب ما ذكر الأستاذ (ليفى بروفنسال) في ترجمته لقطعة من كتاب «صفة الأندلس» للرازي^{١١}، وكانت مياه هذه العيون تجتمع معاً «إذا غلبت عين ماء لهشر صار الماء عذبا، وإذا غلبت عين الشب أو الزجاج حال طعم الماء»^{١٢}.

ومن الواضح أن غلبة كبريتات الحديد «الزجاج» والتي تتميز باللون الأحمر على ماء النهر؛ كانت سبباً في تسميته حالياً بالنهر الأحمر، وهو لون لاينفرد به ماء النهر فقط، بل تشاركه أيضاً أرض المدينة وترابها إذ ترتفع فيهما نسبة الحديد مما يكسبهما نفس اللون، ولما كان هذا التراب قد استخدم مخلوطاً بالماء والجير وغيره في تركيب الطابية التي استخدمت كمادة بناء أساسية في أسوار المدينة، لذلك غلب عليها - أى المدينة وأسوارها - ذلك اللون، مما يفسر سبب إطلاق المسلمون عليها اسم «لبلبة الحمراء»^{١٣}، واشتهارها بدبغ الجلود الحمراء^{١٤}.

^٧ الحموى (شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت) ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، معجم البلدان، (٨) أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ت.، ج٢، ص ٣٠١.

^{١٠} ابن غالب (محمد بن أيوب الغرناطي) ق ٦هـ / ١٢م، فرحة الأنفس في أخبار الأندلس، قطعة من الكتاب، تحقيق د. لطفي عبدالبديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد (١)، الجزء (٢)، ١٩٥٥م، ص ٢٣.

^{١١} الرازي، صفة، ص ٩٢.

^{١٢} القزويني، آثار، ص ٥٥٥.

^{١٣} الرازي، صفة، ص ٩٢، ابن غالب، فرحة، ص ٢٢، الحموى، معجم، ج٢، ص ٣٠١.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود هذه الخاصية أيضاً في تربة «جبل السبيكة» المشيدة عليه قصور الحمراء بغرناطة، واستخدم ترابه في بناء أسوار القسبة والقصور، وكانت سبباً في تسميتها بقصور الحمراء. لمزيد من التفاصيل انظر: الجمل، محمد عبدالمعزم، منشآت سلاطين بنى نصر في قصور الحمراء، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد (٢٨)، مدريد، ١٩٩٦، ص ٦٢.

^{١٤} العذري، ترصيع، ص ١١١؛ ابن الشباط، صلة، ص ١٤٥.

^٧ الحموى (شهاب الدين ابى عبدالله ياقوت) ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، معجم البلدان، (٨) أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ت.، ج٢، ص ٣٠١. وتجدر الإشارة إلى تشابه المقاطع الصوتية بين هذه التسمية (طننتس) وبين الاسم الحالي للنهر (تينتو)، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار خلو اللغة الأسبانية بطبيعة الحال من حرف (طاء)، واستعمال مقابله بها وهو حرف (T).

^٨ العذري (أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس) ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، قطعة من الكتاب حققها ونشرها د. عبدالعزيز الأهواني، المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م، ص ١١٠.

^٩ الإدريسي (أبو عبيدالله محمد بن محمد بن إدريس الحمودى) ق ٦هـ / ١٢م، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزآن، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص ٥٤١؛ الحميرى (محمد بن عبدالله بن عبدالمعزم) جمعه سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦١م، الروض المعطار في خبر الأقطار، منتخبة من الكتاب حققها ليفى بروفنسال ونشرها تحت

وكان لجودة الأراضي المحيطة بالمدينة أثره في وفرة المنتجات الزراعية بها لاسيما الزيتون والعنب والعُصفُر^{١٥}، وانتشرت بها الأسواق والمتاجر^{١٦}، فكانت «كثيرة الخير صالحة القدر»^{١٧}. كما كان لموقع المدينة على تل قليل الارتفاع وسط أرض سهلية وقربها من المحيط الأطلنطي أثره في توافر خيرات البر والبحر بها، ووصفها بأنها «سهلية جبلية برية بحرية»^{١٨}، «جامعة لكل وجه من وجوه الفوائد، محبوبة بصنوف الخيرات، لم يبعد عنها شيء من المرافق»^{١٩}.

تحصينات المدينة عند الرحالة والجغرافيون المسلمون

وصف ابن حوقل لبلدة في القرن الرابع الهجري (١٠م) بقوله: «وهي مدينة قديمة أزلية ... عليها سور»^{٢٠}، وتعد هذه أقدم إشارة مباشرة إلى وجود سور للمدينة في ذلك الوقت. وأضاف العذري (المتوفى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) بعض التفاصيل الهامة عن هذا السور فقال: «وسور مدينة لبلدة عقد بناؤه على تصاوير خلق، وما أناف من سامق ذلك البناء موضوع على أعناقهم. وانفردت بهذه البنية بين جميع المدن»^{٢١}. والتصاوير المشار إليها هنا كانت تماثيل قديمة - لعلها رومانية - منتصبة في سمت بناء السور بشكل معتدل، تدل على ذلك أجزاء مفقودة من نص العذري؛ ولكنها وردت كاملة فيما نقله القزويني (القرن ٧هـ/١٣م) عنه، وجاء عنده أن «سور المدينة قد عقد بناؤه على تصاوير أربعة: صنم يسمى درديا وعليه صنم آخر، وصنم يسمى مكيفا وعليه صنم آخر. والمدينة مبنية على هذه الأصنام وما علا من البناء موضوع على أعناقها»^{٢٢}. وحدد هذا النص أسماء التماثيل وعددها وتوزيعها. وقد أورد الحميري (القرن ٩هـ/١٥م) نصاً مشابهاً لتلك النصوص ومن الواضح أنه منقول عنها ولكن به

^{١٨} ابن الشباط، صلة، ص ١٤٥.

^{١٩} الرازي، صفة، ص ٩٢؛ ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ٣٣٩.

^{٢٠} ابن حوقل، صورة، ص ١١٠.

^{٢١} العذري، ترصيع، ص ١١٠.

^{٢٢} القزويني، آثار، ص ٥٥٥.

^{١٥} ابن سعيد الأندلسي (ابن الحسن علي بن موسى) ت

١٢٨٥هـ/١٢٨٦م، المغرب في حلى المغرب، القسم الثالث

الخاص بالأندلس، تأليف ابن سعيد وآخرين، جزآن، تحقيق

د. شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة،

١٩٧٨م، ج ١، ص ٣٣٩؛ الحموي، معجم، ج ٥، ص ١٠.

^{١٦} الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٥٤١.

^{١٧} ابن حوقل (ابن القاسم بن حوقل النصيبى) المتوفى في النصف

الثاني من القرن ٤هـ/١٠م، صورة الأرض المعروف بالمسالك

والممالك، دار الكتاب الإسلامى، دت، ص ١١٠.

بعض التصحييف، وجاء فيه أن «سور لبلة قد عقد على أربعة تماثيل: صنم تسميه العامة درذب، وعليه صنم آخر، وصنم تسميه العامة مكبح، وعليه صنم آخر، ويخيل إلى الناظر أن ذلك البنيان موضوع على أعناقهم»^{٢٣}. وينحصر الاختلاف بين نص الحميري ونص القزويني في أسماء التماثيل، وفي تصريح الحميري بأنها «تماثيل». ولما كان العذري هو الأصل في هذه النصوص، لذلك يمكن القول أن هذه النصوص تصف السور الذي كان قائماً حتى زمن العذري أو بمعنى آخر حتى بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (١١م)، ولكن لاوجود له الآن، أما عن سبب وجود مثل هذه التماثيل في السور فمرجعه إلى أحد احتمالين، الأول: هو أن السور الذي وصفه العذري ومن نقلوا عنه كان مشيداً قبل العصر الإسلامي وكانت هذه التماثيل موضوعة فيه، واكتفى المسلمون بترميم ما يسقط منه، لذلك ظلت هذه التماثيل باقية حتى ذلك الوقت، والاحتمال الثاني: أن هذا السور من انشاء المسلمين واستخدموا تلك التماثيل كحشو في بنائه وكانت ظاهرة للعيان. وقد وصف الإدريسي مدينة لبلة في منتصف القرن السادس الهجري (١٢م)، وقال أن «لها سور منيع»^{٢٤}، ولم يُشر إلى هذه التماثيل.

ونخلص من ذلك إلى أنه يمكن تقسيم ما جاء عند الرحالة والجغرافيون المسلمون عن سور لبلة إلى مرحلتين تاريخيتين: المرحلة الأولى ووصفت السور الذي كان قائماً حتى بداية النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (١١م) وجاء وصفه عند ابن حوقل والعذري ومن نقلوا عنه وكانت به تماثيل واندثر الآن، والمرحلة الثانية وقد أشارت إلى السور الذي كان قائماً في منتصف القرن السادس الهجري (١٢م) وأشار إليه الإدريسي ولايزال باقياً.

^{٢٣} الحميري، الروض، ص ١٦٨-١٦٩.

^{٢٤} الإدريسي، نزهة، ج ٢، ص ٥٤١.

تحصينات المدينة ودورها في تاريخها السياسي

على الرغم من أن المصادر والمراجع العربية التي اطلعت عليها والتي تناولت تاريخ الأندلس بشكل عام - ولبلدة جزء منه - لم ترد بها سوى إشارات قليلة غير مباشرة عن تحصينات المدينة، إلا أنه يمكن استقراء وجود تلك التحصينات من خلال بعض الأحداث التاريخية التي تدل مجرياتها على وجود تلك التحصينات.

وقد كان الفتح الإسلامي للمدينة على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤هـ (٧١٣م)^{٢٥}، وعندما توافد العرب على الأندلس بعد الفتح؛ أصبحت لبلدة سكناً لجند حمص الذين وفدوا مع أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي عند توليه الأندلس سنة ١٢٥هـ (٧٤٣م) وصارت قاعدة لكورة تحمل اسمها وتضم عدداً من الأقاليم^{٢٦}. ولما قامت الثورات بين العرب والبربر والمولدين في أنحاء الأندلس في أواخر عصر الإمارة كان عثمان بن نصر ممن ثاروا بها، وبعد تولي عبدالرحمن بن محمد واتباعه سياسة الشدة تارة واللين تارة أخرى للقضاء على الثورات، أرسل حاجبه بدر بن أحمد على رأس جيش إلى لبلدة، فبعث الحاجب بدر بالأمان إلى عثمان وأصحابه ووعدته بتنفيذ ما يرغب فيه، إلا أن عثمان رفض وأصرَّ على العصيان، فتحرك بدر نحوه «واضطرب بالعسكر على باب المدينة بضروب من الخيل، وجاءوا [بعض أهل المدينة] إلى الحاجب بدر، منتزعين من عثمان بن نصر، راغبين في الطاعة، لاثنين بالأمان، فأمنهم بدر وأقاموا عنده، وبانت له الفرصة في عثمان وحربه، فساوره [حاصره] في المدينة، وجَد في حربه إلى أن اقتحم عليه المدينة ليلة الاثنين لعشر بقين من رمضان»^{٢٧} سنة ٣٠٤هـ (١٧ مارس ٩١٧م). وتدلل هذه الحادثة - فيما أرجح - على أن المدينة كانت مسورة في ذلك الوقت مما شجع عثمان على التحصن بها، وحالت تلك الأسوار دون أن يدخلها الحاجب بدر مباشرة فتوجه صوب بابها، فلما أُغلق حاصرها، ولو لم تكن المدينة مسورة ما كانت هناك حاجة «لاقتحامها» واختيار «الليل» لتنفيذ ذلك.

^{٢٥} ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) ت ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، قطعة من الجزء الخامس، تحقيق بدرو شلميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ص ١٢٨؛ مؤلف مجهول، مدونة تاريخية تتناول عصر عبدالرحمن الناصر، نشرها ليفي برونفيسال واميلىو جارثيا جومث باللغة العربية مصحوبة بتقديم ودراسة وترجمة للغة الإسبانية، غرناطة، ١٩٥٠م، ص ٥٣.

^{٢٥} ابن عذارى (أبو عبدالله محمد المراكشي) المتوفى بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وليفى برونفيسال، الطبعة الثالثة، (٤) أجزاء، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣، ج٢، ص ١٥؛ كحيل، عبادة عبدالرحمن، القفوف الدواني في التاريخ الإسباني، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٥٥، ٥٦.

^{٢٦} العذرى، ترصيع، ص ١١٠، ١١١؛ ابن عذارى، البيان، ص ٢٣، ٣٣.

وعندما ضعفت سلطة المرابطين في أواخر عهدهم، وقامت ضدهم ثورات عديدة بدأت في غرب الأندلس، وكان على رأس الثوار أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسيّ الذي ادعى الولاية في ميرتله (Mertola)، وأطلق على أتباعه «المريدين»^{٢٨}، وانضم إليه أبو الوليد محمد بن عمر بن المنذر في شلب (Silves) (شكل ١)، وحمل راية نشر دعوة بن قسيّ، وخرج بجيشه سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) صوب أولبة فاستولى عليها، وسار منها إلى لبلة «فقاتلها حتى ملكها بمعاونة يوسف بن أحمد البطروجي أحد مرادة الثوار من هؤلاء المريدين، وأنزل من تمنع في بروجها من المثلثين [المرابطين]»، ثم توجه صوب إشبيلية، فلما علم بخروج أبي زكريا يحيى بن غانية أمير الأندلس المرابطي بجيوشه من قرطبة لمقاتلته؛ «أسرى محمد بن المنذر ليلة إلى لبلة، وأقام بها يومين يحصنها، ثم لحق بشلب وترك يوسف البطروجي بها. فنازله ابن غانية في جيوشه ثلاثة أشهر، وذلك في كلب الشتاء وحدته، إلى أن بلغه قيام ابن حمدين بقرطبة، فانصرف...»، «وقد أعجزه أمره وتعذر عليه فتحها...»^{٢٩}. ويتضح من خلال هذه النصوص ثلاثة عناصر هامة وهي:

أولاً: أن المدينة كانت محاطة في ذلك الوقت - سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) - بأسوار ذات أبراج تحصن بها المرابطون.

ثانياً: أن هذه الأسوار تعرضت في ذلك الوقت أيضاً لما يمكن أن نسميه «ترميم سريع» خلال يومين لرفع كفاءتها الدفاعية.

ثالثاً: أن هذه الأسوار كانت منيعة وأدت دورها الدفاعي فلم يستطع ابن غانية تخطيطها واضطر لحصار المدينة ثلاثة أشهر دون طائل.

وتعرضت المدينة في بداية عصر الموحدين لهجوم مباغت سنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) من قبل على الوهبي أحد ثوار غرب الأندلس وأعوانه، «وغدر مدينة لبلة ليلاً وأهلها نيام فلم يشعروا إلا وقد حل بهم الداء الهيام فكان منهم قوم سبقوا إلى قصبة الموحدين ودخلوا فيها فأمنوا من عادية الحادثة ودعاويها وأن الجميع ذهولوا فلم يقدرُوا على الوصول [إلى القصبة] وحصلوا في حالة ذهول. فحين وصل الخبر إلى أبي زكريا [يحيى

^{٢٨} ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م، أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، القسم الثاني، نشره وحققه ليفي برونفيسال تحت عنوان «تاريخ إسبانية الإسلامية»، بيروت، ١٩٥٦م، ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩.

^{٢٩} ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر) ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، الحلة السراء، جزآن، تحقيق د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م، ج-٢، ص ٢٠٣-٢٠٦، ٢١٨.

ابن يومور] وهو بقرطبة خرج من فوره بعسكره وسرى ليلاً ونهاراً إلى لبلة، فلما قاربها تقدم سرعان الموحدون فدخلوا القسبة إلى أخوانهم فتقووا بهم وأبو زكريا على أثرهم فهرب الشقى المذكور...»^{٣٠}. ويحدد القضاء تاريخ دخول ابن يومور لبلة بيوم الأربعاء ١١ شعبان سنة ٥٤٩هـ (٢١ أكتوبر ١١٥٤م). وتؤكد هذه الحادثة أن المدينة كانت مسورة، وأضافت نقطة جديدة إلى تحصيناتها وهو وجود قسبة (حصن أو قلعة)، وواضح أنها كانت من إنشاء الموحدون فنسبت إليهم، كما كان الحال في العديد من المدن الأندلسية الأخرى التي أنشأ الموحدون بها قصاباً فنُسبت اسمائها إليهم ومنها: قسبة الموحدون في إشبيلية وفي بطليوس وفي شريش وغيرهم. وأوضح النص ضمناً الغرض الدفاعي لبناء القسبة، إذ كانت تستخدم كخط دفاع ثانى عن المدينة، ولجأ إليها من تدارك الموقف من أهل المدينة عندما فاجأها الوهبي «ليلاً»، وكانت بها حامية من الموحدون تحصنوا بها حتى «تقووا» بمن وصلهم من عساكر الموحدون ممن كانوا في مقدمة قوات ابن يومور. وإن كانت هذه القسبة قد هدمت في القرن ١٥م، إلا أنه شيدت في نفس موقعها قلعة (لوس جوثمانيس Castillo de Los Guzmanes)^{٣٢} التي لاتزال باقية، وتفيد في التعرف على موضع القسبة بالنسبة للمدينة وسورها، إذ كانت في القسم الشمالى الشرقى من المدينة فيما بين باب إشبيلية وباب النجدة (شكل ٢). وأرجح من خلال تسمية القسبة ودورها في هذه الحادثة أنها كانت قد شيدت في الفترة ما بين سنة ٥٤١هـ (١١٤٧م) وهو تاريخ دخول المدينة في طاعة الموحدون، وسنة ٥٤٩هـ (١١٥٤م) وهو تاريخ حركة الوهبي المذكورة. ولما تصدع حكم الموحدون انقسم مسلموا الأندلس على أنفسهم، وتفرقت كلمتهم بين الزعماء الذين ظهروا في تلك الفترة، برز في لبلة القاضى شعيب بن محمد بن محفوظ بن محمد، واستقل بها وما حولها وتلقب بالمعتصم سنة ٦٣٢هـ (١٢٣٥م)،

^{٣٢} Maldonado, Basilio Pavón, Torre octógono de Niebla, en «Arte y Arqueología Hispanomusulmanas», Al-Qantara, vol. 1, 1980, p. 411.

^{٣٣} ابن عذارى، البيان (الموحدون)، ص ٣٣١؛ ابن زرع (أبو الحسن على بن عبدالله الفاسى) ق ٨ هـ/ ١٤م، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٧٦؛ عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الأندلس، (٦) أجزاء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨-١٩٩٠م، ج ٥، ص ٤١٦.

^{٣٠} ابن عذارى (أبو عبدالله محمد المراكشى) المتوفى بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الثالث، تاريخ الموحدون، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبدالقادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥، ص ٥٢.

^{٣١} القضاء (أبى عبيدالله محمد بن عبدالله بن أبى بكر) ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق د. عبدالسلام هراس، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥٥.

وظل محتفظاً بها قرابة ثلاثين عاماً، وبعد أن تولى الفونسو العاشر عرش قشتالة؛ هاجم لبلة بجيوشه واستولى عليها صلحاً سنة ٦٦١هـ (١٢٦٢م) «بعد حصار عظيم وأمر جسيم»^{٣٤}، وجاء في المدونة التاريخية للملك الفونسو العاشر نفسه أن الحصار امتد لتسعة أشهر «وفى ذلك الوقت كانت المدينة حصناً عظيماً محاطة بسور وأبراج منيعة»^{٣٥}، ويضيف الأستاذ (عبدالله عنان) اعتماداً على ما ذكره الأستاذ (لافوينتي Lafuente) أن «أبرز ما فى حوادث هذا الحصار ما قام به المسلمون من إطلاق النار والحجارة من فوق أسوار المدينة، من آلات قاذفة شديدة الفتك، يصحبها دوى كالرعد، لم يعرف كنهها ولم يسبق استعمالها فى شبه الجزيرة [الإيبيرية]، تشبه المدافع البدائية، وقد فتكت هذه الآلات بالجيش المحاصر وأرغمته على إطالة الحصار أكثر من تسعة أشهر»^{٣٦}. وتثبت هذه النصوص بوضوح ما كان لأسوارها من دور دفاعى، وأن تسليمها كان صلحاً، كما تثبت أن تلك الأسوار كانت منيعة متماسكة حتى آخر لحظات تاريخها الإسلامى.

ويتضح من خلال هذا العرض ما كان لتحصينات المدينة من دور فى تاريخها، وتتمثل هذه التحصينات فى: سور المدينة وقصبتها، وقد برز سور المدينة بين ثنايا الأحداث منذ أواخر عصر الإمارة الأموية، وظهر دوره بوضوح فى أواخر عصر المرابطين وخلال عصر الموحدين وحتى سقوط المدينة فى يد القشتاليين ولايزال باقياً حتى الآن. أما القصبة فقد ظهر دورها فى بداية عصر الموحدين، وقد اندثرت الآن.

^{٣٦} عنان، دولة، ج٥، ص ٤٩٢-٤٩٣.

^{٣٤} ابن عذارى، البيان (الموحدين)، ص ٤٣٠.

^{٣٥} Rosell, Cayetano, Crónica del rey D. Alfonso X, en

Crónica de los Reyes de Castilla, Madrid, 1953, p. 6.

الدراسة الآثارية التحليلية لسور المدينة

يحيط السور بالعمران الحالى للمدينة من جميع الجهات مشتملا على (٤٢) برجاً ضمنها خمسة أبراج تفتح بها أبواب، وأغلب السور فى حالة جيدة لاسيما بعد عمليات الترميم التى أجريت به على مراحل فيما بين سنتى ١٩٨٢ و ١٩٨٦م^{٣٧}، وترى هذه الترميمات فى جهات عديدة منه (صورة ١)، ويمتد القطاع الشرقى من السور - فيما بين البرجين (٥) و(١٢) - موازياً للنهر، ويقترّب منه فى القسم الجنوبى فيما بين الأبراج (٩) و(١٢)، وهذا القسم الأخير لايزال على حالته الأصلية ولم يرمم لوقوعه فى أرض ملكية خاصة، وهو فى حالة متهدمة نظراً لقربه من النهر وتعرضه لمياه النهر عند فيضانه. ويبتعد القطاع الجنوبى من السور عن النهر تدريجياً، ثم ينحرف ثلاث مرات: الأولى عند البرج رقم (٢٤) والثانية عند البرج رقم (٣١) والثالثة عند البرج رقم (٣٤)، ويمتد بعد ذلك على هيئة خط شبه مستقيم مكوناً القطاع الشمالى من السور، والذي يقطع مساره الآن مبنى قلعة (لوس جوثمانيس Castillo de los Guzmanes) التى حلت محل القصبّة الموحدية (شكل ٢).

ويتخذ السور بصفة عامة شكل غير منتظم ناتج فيما أرجح عن عدة عوامل منها:
١- موقع المدينة بالنسبة للنهر: حيث تقع فى منطقة ينحرف عندها النهر مكوناً زاوية قائمة تقريباً، وتمت الاستفادة منه كخندق طبيعى يزيد من تحصين المدينة، لذلك شيد القطاعين الشرقى والجنوبى من السور بموازته. وتجدر الإشارة إلى أن لبلة لاتنفرد بهذا الموقع دون غيرها، بل يمكن القول أن هذه خاصية تميزت بها مدن الأندلس، إذ أن أغلبها مشيد إما على نهر رئيسى أو رافد، وبالتحديد فى منطقة ينحرف عندها النهر للاستفادة منه فى تحصين المدينة، وتشاهد هذه الخاصية فى مواقع كل من: أنتقيره وتُطيله ولوشه وبَطْلْيُوس وأُوريوله^{٣٨} وإشبيلية واستجّه.

٢- تضاريس المدينة: إذ شيدت فوق تل قليل الارتفاع غير مستوى السطح ينحدر نحو النهر، لذلك امتدت الأسوار مع حدود هذا التل لاسيما فى الجهتين الشرقية والجنوبية (صورة ١)، على العكس من الجهة الشمالية وهى ذات أرض مستوية لذلك امتد السور خلالها على هيئة خط أقرب إلى المستقيم (شكل ٢).

^{٣٧} Balbás, Leopoldo Torres, *Ciudades Hipanomusulmanas*, ^{٣٨} Guarner, Ismael, «Muralla de Niebla. Restauración», *El*

2 Tomos, Madrid, 1971, t. 2, p. 115.

Croquis, Madrid, 1987, p. 82.

٣- عمران المدينة وقت إنشاء السور: وإن كان ليس هناك دليل أثرى أو تاريخي مباشر يرشد عنه بشكل واضح، إلا أنه بديهي أن الامتداد العمراني للمدينة في الجهتين الشرقية والجنوبية كان منتهاه إلى النهر، بينما يحدد السور الشمالي الامتداد العمراني للمدينة في هذه الجهة وقت إنشاء السور؛ وذلك بناء على عدة شواهد منها: أن أرض المدينة مستوية أفقياً في هذه الجهة، فلو كان هناك مزيد من العمران لكان في استطاعة المعمار أن يمد السور الشمالي أبعد مما هو عليه الآن دون عائق، فضلاً عن أن عمران المدينة لا يزال مركزاً داخل السور، فليست هناك أحياء خارج السور (أرباض) حتى وقتنا هذا عدا بعض مبان قليلة متناثرة خارج السور الشمالي، يضاف إلى ذلك موقع كل من المسجد الجامع والقصبة، فالمسجد الجامع لا تزال بقاياه قائمة وسط المدينة تقريباً (شكل ٢) جرياً على القاعدة المعروفة في المدن الإسلامية، أما القصبة والتي كانت تخصص عادة لسكن والى المدينة فلم تشيد بجوار المسجد بل ضمن السور الشمالي، وبالتالي لم ينحصر دورها هنا على الدفاع عن الوالى فقط؛ بل الدفاع عن المدينة بشكل عام.

ويتراوح عرض السور ما بين ٢ و ٢٠م، ويختلف ارتفاعه الحالي من منطقة لأخرى لذلك يتراوح ارتفاعه ما بين ٤ و ٨م تقريباً، بينما يبلغ إجمالي طوله ٣٢٠٠ م، ويحيط بمساحة من الأرض مساوية لمساحة بعض المدن الأخرى مثل: بيانه وبياسه وقاشرش وقورية وشلب ويابرة^{٣٩}.

والسور مشيد بالطابية كمادة بناء أساسية في صفوف أفقية ارتفاع كل منها ٩٠ سم، ويلاحظ في بعض المناطق التي سقطت فيها بعض واجهات السور بفعل عوامل التعرية وجود أحجار غير منتظمة الشكل (دبش) وشقافات من الفخار والخزف؛ استخدمت كحشو في خلط الطابية عند صبها بين الألواح (صورة ٢)، وكتلة السور صماء لا تتخللها ممرات داخلية، وذلك نتيجة للبناء بالطابية التي يصعب معها عمل فراغات داخلية أو ممرات في باطن السور؛ لاسيما وأن عرضه ليس كبيراً، وهى سمة مشتركة في أسوار المدن والقلاع الأندلسية والمغربية المشيدة بالطابية.

^{٣٩} Maldonado, Basilio Pavón, *Arquitectura Islámica y Mudejar*

en Huelva y su provincia, Diputación de Huelva, Huelva,

1996, p. 17.

واندثر أغلب الدرابزى الحاجز المحدد لواجهة السور الخارجية وال دراوى (الشرافات) التى كانت تعلوه، ولم يبق من تلك الدراوى سوى عدد قليل أعلى باب النجدة والبرج رقم (٤٢) المجاور له (شكل ٢، صورة ٣)، وهى ذات نهايات هرمية الشكل؛ وإن بدت بعضها ذات نهايات مسطحة بعد اندثار قممها الهرمية. وقد شاع استخدام هذا النوع من الدراوى فى العمارة الدفاعية فى الأندلس فى عصر الموحدين، وتوجد أبرز أمثله فى قلعة جابر وزيادة الموحدين فى سور إشبيلية وكذلك قصبة بطليوس وسور قاصرش واستجه. وكان يصعد إلى الممشى العلوى للسور بواسطة سلاله مشيدة بالطابية والحجر لصق واجهة السور الداخلية، تدل على ذلك بقايا درج بالسور الشمالى بجوار باب النجدة^{٤٠}.

الأبراج

يشتمل بناء السور على (٤٢) برجاً بما فى ذلك أبراج الأبواب، وتتركز أغلب الأبراج فى السورين الشمالى والجنوبى، وهى موزعة على مسافات تتراوح ما بين ١٠ و ٢٠م، فى حين يقل عدد الأبراج وتزيد المسافة بينها فى السور الشرقى فتتراوح ما بين ٢٢ و ٣٠م فى القطاع الجنوبى منه الممتد بين كل من البرج رقم (٩) والبرج رقم (١٢)، وتزيد عن ٥٠م فى القطاع الشمالى منه بين البرج رقم (٥) وباب المرفأ (شكل ٢). ولعل السبب فى قلة عدد أبراج السور الشرقى راجع إلى بنائه على النهر مباشرة، وبالتالي لم تكن هناك حاجة لبناء عدد كبير من الأبراج، على العكس من السورين الشمالى والجنوبى. والجدير بالذكر أن توزيع الأبراج على مسافات تتراوح ما بين ١٠ و ٢٠م هى إحدى سمات العمارة الدفاعية الأندلسية بدءاً من عصر الإمارة ومثاله قصبة ماردة ٢٢٠هـ (٨٣٥م)، ومروراً بعصر الخلافة ومثاله قلعة برج الحمامة (Baños de la Encina) ٣٥٧ هـ (٩٦٨م)^{٤١} (شكل ٣)، وحتى عصر المرابطين ومثاله أسوار قصر ابن سعد المعروف بقلعة منتقوت^{٤٢} (Castillejo de Monteagudo).

^{٤٠} Palázon, Julio Navarro, «El Castillejo de Monteagudo: Qasr Ibn Sad», en *Casa y Palacios de Al-Andalus*, Madrid, 1995, p. 65, fig. 32.

^{٤١} Castro, Fatima Roldán, *Niebla Musulmana Siglos VIII-XIII*, Diputación Provincial De Huelva, Huelva, 1993, p. 240.

^{٤٢} Córcoles, Juan Vicente, *Baños de la Encina*, Jaen, 1992, p. 20.

وأبراج سور لبلة جميعها مربعة أو مستطيلة ماعدا البرجين رقمي (٥) و(١٢) فهما مثمانان، ويتراوح عرض الأبراج ما بين ٤ و٥م، ويتراوح بروزها عن كتلة السور ما بين ٣ و٤م، وهي أبراج صماء مشيدة بالطابية على قاعدة من الحجر متوسط الحجم، بينما شيدت زواياها بالحجر المشذب كبير الحجم لتقوية البناء (صورة ١)، وتشبه بذلك أبراج قلعة جرمانه (Jurumenha) بالبرتغال وتؤرخ بنهاية القرن الخامس الهجري (١١م)٤٣.

وارتفاع أغلب هذه الأبراج مسامت لارتفاع السور الآن، ولا تعلوها حجرات رماية، ويشاهد في بعضها درابزى من الحجر والطابية يحدد هيئة البرج ويرتفع عن منسوب السور (صورة ٤)، ومنها برج واحد فقط لا يزال محتفظاً بالدراوى العلوية وهو البرج رقم (٤٢) (صورة ٣). والأبراج المربعة الصماء التى لا تعلوها حجرات رماية كانت أيضاً من سمات العمارة الدفاعية الأندلسية منذ عصر الإمارة وحتى عصر المرابطين، ومن أمثلتها أبراج كل من قصبة ماردة وبرج الحامة وقصر ابن سعد السابق ذكرهم، بالإضافة إلى الأبراج الأصلية فى قلعة طريف ٣٤٩ هـ (٩٦٠م)٤٤ وأبراج حصن غرماج ٣٥٤ هـ (٩٦٥م)٤٥، فضلا عن عمارة أبراج سور إشبيلية الأصلية فى عصر المرابطين قبل أن يضيف الموحدون حجرات الرماية فوق الأبراج٤٦.

ويشتمل بناء السور - كما سبق القول - على برجين مثمانين هما البرج رقم (٥) والبرج رقم (١٢) (شكل ٢)، ويقع الأول منهما بالزاوية الشمالية الشرقية للسور (صورة ٥)، وهو مشيد على قاعدة مربعة من الأحجار الضخمة، وحوّلت القاعدة المربعة إلى مثمان بواسطة مثلثات منزلقة، كل منها عبارة عن مثلث متساوى الساقين قاعدته لأعلى ورأسه لأسفل، وشيد باقى البرج بالطابية بين أحجار متوسطة الحجم فى الزوايا، والبرج من كتلة صماء يعلوها درابزى يحدد هيئتها.

٤٥ مورينو، مانويل جوميث، الفن الإسلامى فى اسبانيا، ترجمة

د. لطفى عبدالبديع ود. السيد عبدالعزيز سالم، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص ٢٠٥، ٢١٠.

٤٦ عبدالنعيم، الاستحكامات، ص ١٨٨-١٨٩، ٢٧٣-٢٧٥.

٤٣ Maldonado, *Arquitectura*, p. 19.

٤٤ Silva, Antonio Torremocha, «Fortificaciones islamicas en la orilla norte del estrecho», en *el Congreso Internacional: Fortificaciones en Al-Andalus*, Algecira, 1998, p. 195, fig. 8.

أما البرج الآخر (رقم ١٢) فيقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية للسور (صورة ٦)، ويطل على النهر مباشرة، وهو مئمن من قاعدته إلى قمته، ويعرف ببرج الذهب على غرار تسمية برج الذهب المعروف فى إشبيلية^{٤٧}، وكان مهتماً إلى حد كبير^{٤٨}، وتم ترميمه مع السور فيما بين سنتى ١٩٨٢ و ١٩٨٦م. وهو عبارة عن كتلة صماء مشيدة بالطابية وزواياها من الحجر، ولاتعلوه حجرات رماية. وأرجح أن هذا البرج يرجع إلى عمارة أجراها الموحدون فى السور وأنه كانت تعلوه حجرات رماية، ويتضح ذلك من خلال مقارنته بالنماذج الأخرى التى لاتزال باقية للأبراج المئمنة التى ترجع جميعها لعصر الموحدين، ومنها: برجين فى سور مدينة استجة يقع أحدهما فى شارع كالثادا (Calzada)، ويشبه برج لبله إلى حد كبير حيث يتكون الآن من كتلة مئمنة صماء لاتعلوها حجرة رماية (صورة ٧)، وكذلك برجان فى سور مدينة قاصرش، يعرف أحدهما ببرج ديسموتشادا (Desmochada) وتعنى «الذى أزيلت قمته» فى إشارة واضحة إلى قمته الأصلية أو حجرة الرماية التى أزيلت وجددت حديثاً بشكل مغاير (صورة ٨)، تؤكد ذلك عمارة البرج المئمن الثانى فى سور نفس المدينة ويعرف بالبرج المدور (Redonda) ولا يزال محتفظاً بحجرة الرماية التى تعلوه. ومن الأمثلة الأخرى الباقية لهذا النوع من الأبراج: برجين فى مدينة شريش أحدهما فى زاوية القصبة والآخر فى سور المدينة، وبرج اسبانتابروس (Espantaperros) فى قصبة بطليوس، وبرجين فى سور أرشدونة^{٤٩}.

الأبواب

تفتح فى السور خمسة أبواب رئيسية بالإضافة إلى ثلاثة أبواب سرية، وتتبع الأبواب الرئيسية من حيث التخطيط الطراز الذى انتشر فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين، والذى يتألف من ممر منكسر على هيئة زاوية قائمة واحدة داخل برج مربع أو مستطيل^{٥٠}.

^{٤٧} عبد النعيم، أسامة طلعت، ملامح تخطيط المدخل المنكسر فى العمارة الدفاعية بين مصر والغرب الإسلامى فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١-١٣م)، كتاب الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٣٣٨.

^{٤٧} Maldonado, Torre, p. 412.

^{٤٨} Maldonado, Arquitectura, p. 19; Torre, p. 412.

^{٤٩} Balbás, Leopoldo Torres, La Alcazaba Almohade de Badajoz, Al-Andalus, vol. VI, fasc. 1, 1941, p. 179; Las Torres Del Oro y De La Plata En Sevilla, Archivo Español De Arte y Arqueología, no. 28, Enero-Abril, 1934, p. 100; Maldonado, Arquitectura, p. 19, 25; Torre, p. 412; Castro, Niebla, p. 247.

والأبواب موزعة على النحو التالي: بابان في السور الشمالى هما باب النجدة (Puerta del Socorro) وباب إشبيلية (P. de Sevilla)، وباب في السور الشرقى هو باب المرفأ (P. del Embarcadero)، وبابان في السور الجنوبى هما باب الماء (P. del Agua) وباب الثور (P. del Buey) (شكل ٢). وإن لم يرد فى ضوء المصادر والمراجع العربية القديمة التى اطلعت عليها ذكر لأسماء هذه الأبواب، إلا أن هذه الأسماء الحالية لها مايفسرهما، فهى إما مرتبطة بمواقع الأبواب، أو مرتبطة بأحداث تاريخية أو رسوم كانت منقوشة عليها.

باب النجدة

عرف بهذا الاسم نسبة إلى صورة كانت منقوشة على جدرانها الداخلية لقديسة تعرف بعذراء النجدة (Virgen del Socorro)^{٥١}، وقد اندثرت هذه الصورة الآن. ويرجع الباب مستطيل عرضه ١٠,٦٠ م، ويبرز عن واجهة السور بمقدار ٦,٥٠ م، وهو مشيد بالطابية، بالإضافة إلى استخدام الأحجار فى الزوايا والعقود (صورة ٣) والآجر فى التغطيات والعقود الداخلية. ويفتح باب الواجهة الخارجية بالضلع الشرقى إلى يمين الواقف أمام البرج (شكل ٤)، واتساع فتحة الباب ٢,١٥ م يتوجها عقد حدوة فرس نصف دائرى غائر داخل إطار مستطيل رأسى يقطع ضلعا الجانبين امتداد الحد الخارجى للعقد (صورة ٩)، ويؤرخ هذا التكوين من العقد وإطاره بالقرن السادس الهجرى (١٢م)، ومن أبرز أمثله الأخرى باب قصر إشبيلية بمدينة قرمونة وباب التاج بقصبة بطليوس^{٥٢}. وتؤدى فتحة الباب إلى مساحة مستطيلة عرضية يتضح من خلالها سمك جدار البرج، ويغطيها قبو نصف دائرى من الحجر ذى القطع المتوسط لايزال محتفظاً فى طرفى الضلع الشرقى منه بسكرجتى ضلعتى الباب؛ وتتكون كل منهما من كتلة مستطيلة من الحجر وبوسطها دائرة غائرة، كان يثبت فيها المحور الذى تدور حوله ضلفة الباب. وتؤدى هذه المساحة إلى المستطيل الأوسط لممر الباب وهو مواز لمحور السور، ويبلغ طوله ٦,٦٠ م وعرضه ٣,٤٠ م، يغطيه قبو طولى نصف دائرى من الآجر (صورة ١٠)، وبالضلع الشمالى منه دخلتان، اتساع كل منها ٢,٢٠ م وعمقها ٠,٩٠ م، ويغطى كل منها قبو نصف دائرى من الآجر، وأرضية هاتان الدخلتان مساوية الآن

^{٥١} De los Rios, Amador, Huelva, Edición El Albir, Martín, Alfonso Jiménez, La Puerta de Sevilla en Carmona, ^{٥٢}

Sevilla, 1989, p. 197.

Barcelona, 1983, p. 193.

لأرضية الممر، وأرجح أنه كان بكل منها جلسة لاستراحة المكلفين بحراسة الباب. وبالضلع الجنوبي لهذا المستطيل ممر قصير يفتح في كتلة السور ويؤدي إلى داخل المدينة، يغطيه قبة طولى نصف دائرى، يبدأ فى طرفه الشمالى بعقد موتور منخفض من الحجر، وبطرفه الجنوبى عقد نصف دائرى من الحجر هو عقد الواجهة الداخلية للباب (صورة ١١)، ويعلو هذه الواجهة درابزى من الآجر يحمل دراوى ذات نهايات هرمية الشكل.

باب إشبيلية

وسمى بذلك لأنه يؤدي إلى الطريق المتجه صوب إشبيلية (شكل ٢) ^{٥٣}، ويفتح ممر بابيه أيضاً داخل برج مستطيل، وإن كانت قد أدخلت على عمارته الأصلية تعديلات فى القرن ١٧م، حيث سدت فتحة الباب الخارجى بالبناء، واستحدثت فتحة باب فى الضلع الشمالى الشرقى من برج الباب لجعل ممره مباشراً لتيسير المرور من خلاله ^{٥٤} (شكل ٥، صورة ١٢). وفيما عدا ذلك لا يزال الباب محتفظاً بعمارته الأصلية ومنها عقد الواجهة الخارجية، ويشبه عقد باب النجدة السابق ذكره، غير أنه تعلوه زخارف معمارية منفذة بالآجر على هيئة بائكة صماء ذات عقود مفصصة لاتظهر تفاصيلها بوضوح الآن. والمساحة الوسطى من ممر المدخل مربعة تغطيها قبة ضحلة على مثلثات كروية (صورة ١٣)، وتفتح بالضلع الشمالى الغربى للمساحة الوسطى دخلة صماء واحدة.

باب المرفأ

وهو أقرب أبواب المدينة للنهر، وعرف بهذا الاسم لأنه كان يؤدي إلى المرفأ أو الميناء النهري للمدينة، وقد اكتشف هذا الميناء سنة ١٩٣٤م، وكان عبارة عن درج سلم من الحجر يهبط فى اتجاه النهر (شكل ٦)، إلا أنه تهدم ولم يبق منه شيء الآن ^{٥٥}. والباب أيضاً فى حالة متهدمة إلا أن بقاياها تسمح بالتعرف على تخطيطه؛ حيث يتبع تخطيط باقى أبواب السور من حيث الممر المنكسر الذى يفتح داخل برج مستطيل (شكل ٧).

^{٥٣} Castro, Niebla, p. 251.

^{٥٣} Castro, Niebla, p. 255.

^{٥٤} Maldonado, Arquitectura, p. 24.

باب الماء

شيد هذا الباب على قاعدة من الحجر، وفتحة بابه الخارجى مرتفعة عن منسوب الأرض أمامه، لذلك يتوصل إليه بواسطة طريق صاعد مُمهد (صورة ١٤)، كما استخدمت في بنائه الطابوقة والآجر، ويحدد هيئة برج الباب من اعلى درابزى من الحجر، ويتوج كل من باب الواجهة الخارجية (صورة ١٤) وباب الواجهة الداخلية (صورة ١٥) عقد حدوة فرس نصف دائرى داخل إطار مستطيل، ولايزال الباب محتفظاً أيضاً بسكرجتي ضلفتى باب الواجهة الخارجية خلف العقد مباشرة (صورة ١٦)، وتغطى المربع الأوسط قبة ضحلة مقامة على مثلثات كروية، وتفتح عليه دخلتان إحدهما بالضلع الجنوبي والأخرى بالضلع الغربى (شكل ٨).

باب الثور

ويقال أنه سُمى بهذا الاسم (بوى Buey) ومعناها (الثور) لارتباطه بحادثة تاريخية؛ مفادها أنه أثناء حصار الفونسو العاشر ملك قشتالة للمدينة وسكانها من المسلمين سنة ٦٦١هـ (١٢٦٢م)، أخرج المسلمون من هذا الباب ثوراً سميناً للدلالة على أن المدينة بها ما يكفى من المؤن ويزيد، وأنها ستصمد ضد الحصار، فكان ذلك سبباً في تسمية الباب بهذا الاسم^{٥٦}. وهناك رأى آخر اعتمد على التفسير اللغوى للكلمة وجاء به أن (بوى Buey) تحريف من لفظة (بويب) العربية صيغة التصغير للفظ (باب)^{٥٧}. ويتبع الباب فى تخطيطه (شكل ٩) باقى أبواب السور، إلا أنه ينفرد عنها بأنه لايزال محتفظاً بجدار من الآجر يعلو فتحة باب الواجهة الخارجية، ويشتمل على حلية معمارية عبارة عن مستطيل أفقى مقسم إلى ثلاث دخلات مستطيلة رأسية، بكل منها عقد مدبب ذى سبعة فصوص (شكل ١٠، صورة ١٧) وعلى الرغم من أن هذا النوع من العقود يعد من أبرز العناصر المميزة للعمارة الأندلسية، ومن أقدم نماذجه الباقية

^{٥٦} Rosell, Crónica, p. 6.

^{٥٧} Giménez, Felix Hernandez, Buwayb-Bued-Cabeza del

Buey, Al-Andalus, vol. 28, fasc. 2, 1963, p. 361.

عقود زيادة الحكم المستنصر أمام المحراب فى المسجد الجامع بقرطبة^{٥٨} (٣٥٠-٣٥٥هـ/ ٩٦١-٩٦٦م) (شكل ١١)، ثم شاع استخدامه بعد ذلك فى العمارة الدينية والمدنية سواء لغرض معمارى أو زخرفى، إلا أن استخدامه فى العمارة الدفاعية - لاسيما لغرض زخرفى - يعد أمراً نادراً، ولم استدل إلا على نماذج قليلة لاستخدام العقود بشكل عام كحليات معمارية بهذا الشكل فى واجهات العمارات الدفاعية فى الغرب الإسلامى؛ وترجع جميعها إلى عصر الموحدين، ومنها بائكة صماء ذات عقود نصف دائرية بواجهة باب قصبة المنستير بتونس ويؤرخ بالقرن السادس الهجرى (١٢م)^{٥٩}، والعقود نصف الدائرية الصماء بأعلى واجهة برج الزاوية المثلث بقبصة شريش، والعقود نصف الدائرية المفصصة والمدببة المفصصة الصماء بالبدن العلوى ببرج الذهب فى إشبيلية^{٦٠} (٦١٧هـ/ ١٢٢٠م) (شكل ١٢)، وتشبه عقود باب الثور فى سور مدينة لبلة، لذلك أرجح أن هذا الجدار وما به من عقود يرجع إلى أعمال تعلية أو زيادة موحدية فى سور لبلة أو فى هذا الباب تحديداً.

أبواب السر

تفتح فى السور ثلاثة أبواب سرية صغيرة، أحدها غرب باب الماء (شكل ٢، صورة ١٨)، ويبلغ اتساعه ١٠م ويتوجه عتب مستقيم من الحجر، والثانى شرق البرج رقم (٣١) مباشرة (صورة ١٩)، ويعرف الآن بباب سانتا كاتالينا (Santa Catalena)، ويبلغ اتساعه حوالى ٢٠م ويتوجه عقد نصف دائرى، والثالث غرب مبنى القلعة ويعرف بباب الثغرة (Puerta del Agujero)، ويبلغ اتساعه أيضاً ٢٠م ويتوجه عقد نصف دائرى. وهذه الأبواب بسيطة فى عمارتها فهى مجرد فتحات فى سمت السور، وكان هذا النوع من الأبواب يستخدم عادة فى شن هجوم مضاد فى حالة تعرض المدينة للحصار، أو للهروب من خلالها إذا دعت الحاجة، لذلك تفتح دائماً بجوار الأبراج لحمايتها.

^{٥٨} سالم، السيد عبد العزيز، «العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها»، كتاب «بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار»، قسمان، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٢م، ق٢، ص٥٥.

^{٥٩} Maldonado, Basilio Pavón, *España y Túnez Arte y Arqueología Islámica*, Madrid, 1996, p. 58, 260.

^{٦٠} Márquez, Teodor Falcón, *La Torre del oro, Arte Hispalense*, Sevilla, 1983, p. 41.

^{٥٨} سالم، السيد عبد العزيز، «العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها»، كتاب «بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار»، قسمان، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٢م، ق٢، ص٥٥.

Ewert, Christian, *La mezquita De Córdoba: Santuario modelo del occidente islamico*, en «La Arquitectura Del

تأريخ بناء التحصينات وخلاصة البحث

اختلفت آراء العلماء والباحثين المحدثين حول تأريخ بناء سور المدينة، فنسبه بعضهم إلى عصر الخلافة^{٦١}، في حين نسبه البعض الآخر إلى عصر ملوك الطوائف^{٦٢}، ومنهم الأستاذ مالدونادو (Maldonado)^{٦٣} الذي عدّل رأيه بعد ذلك ونسبه إلى عصر المرابطين^{٦٤}، وهو الرأي الذي قال به كثيرون^{٦٥}، بينما نسبه البعض إلى عصر الموحدين^{٦٦}. واتفق مع أصحاب الرأي الذي نسب بناء السور الحالي إلى عصر المرابطين، وأرجح أن الموحدين قد جددوا السور وشيدوا قصبة لزيادة تحصين المدينة، وأن بناء السور الحالي كان فيما بين سنتي ٥٢٠ و٥٣٩ هـ (١١٢٥ و ١١٤٤ م)، وكان بناء القصبة فيما بين سنتي ٥٤١ و٥٤٩ هـ (١١٤٦ و ١١٥٤ م)، وذلك بناء على مايلي:

١- ما اتضح من خلال خلاصة عرض ما جاء عن سور المدينة عند الرحالة والجغرافيين المسلمين.

٢- ما اتضح أيضاً من خلال دراسة تحصينات المدينة ودورها في تاريخها السياسي، وما تم فيها من تحديد تاريخ بناء القصبة، أما تحديد تاريخ بناء السور فيما بين السنتين المذكورتين، فالأولى منهما - وهي سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٥ م) - صدر فيها أمر على بن يوسف المرابطي إلى عماله على الأندلس بالاهتمام ببناء أسوار مدنها، وشيدت وجددت بناء على ذلك أسوار العديد من المدن منها: غرناطة والمرية وقرطبة وإشبيلية^{٦٧} وغيرهم. وأرجح أن لبلة كانت من بين تلك المدن. أما التاريخ الثاني وهو سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) فتعرضت فيه المدينة لحصار من قبل ابن غانية؛ وفشل في دخولها لمناعة أسوارها كما سبق القول، مما يثبت الانتهاء من بنائها.

٣- الدراسة الأثرية التحليلية للسور والتي أظهرت عناصر مرابطية منها: مادة البناء، ونمط تخطيط الأبواب، وأسلوب التغطيات والعقود، بالإضافة إلى عناصر موحدية منها: الأبراج المثلثة والدراوى والحليات المعمارية على هيئة عقود مفصصة.

fasc. 2, 1952, p. 413; Castro, Niebla, p. 241; Guzmán, Rafael López, *La Arquitectura de los almoravides*, en «La Arquitectura Del Islam Occidental», *El Legado Andalusi*, Madrid, 1995, p. 114.

Guarner, *Muralla*, p. 85. ^{٦٦}

^{٦٧} ابن عذاري، البيان، ج٤، ص ٧٣-٧٥.

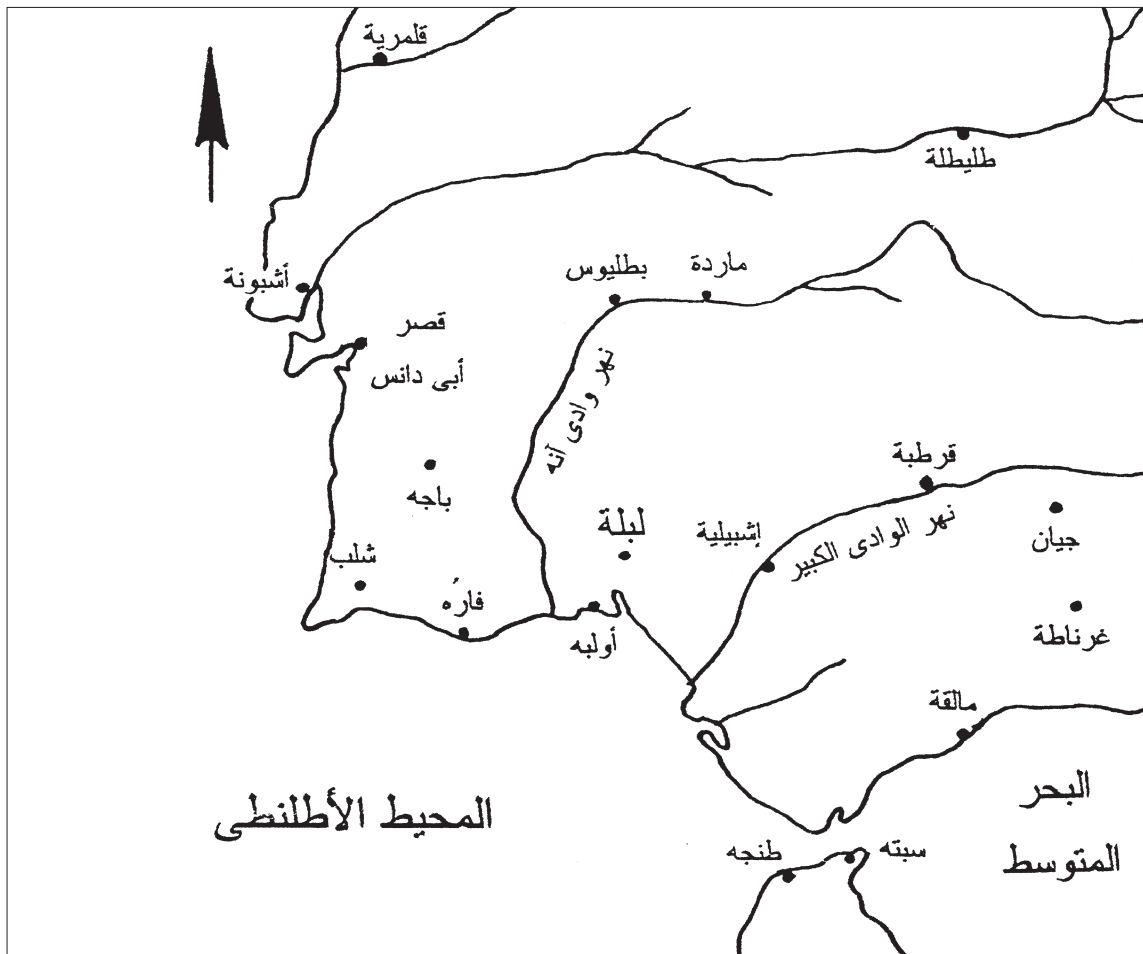
Díaz, Emanuel Serrano, *Castillos de Andalucía*, Madrid, ^{٦١} 1975, p. 3.

Sánchez, *La Cultura*, p. 61. ^{٦٢}

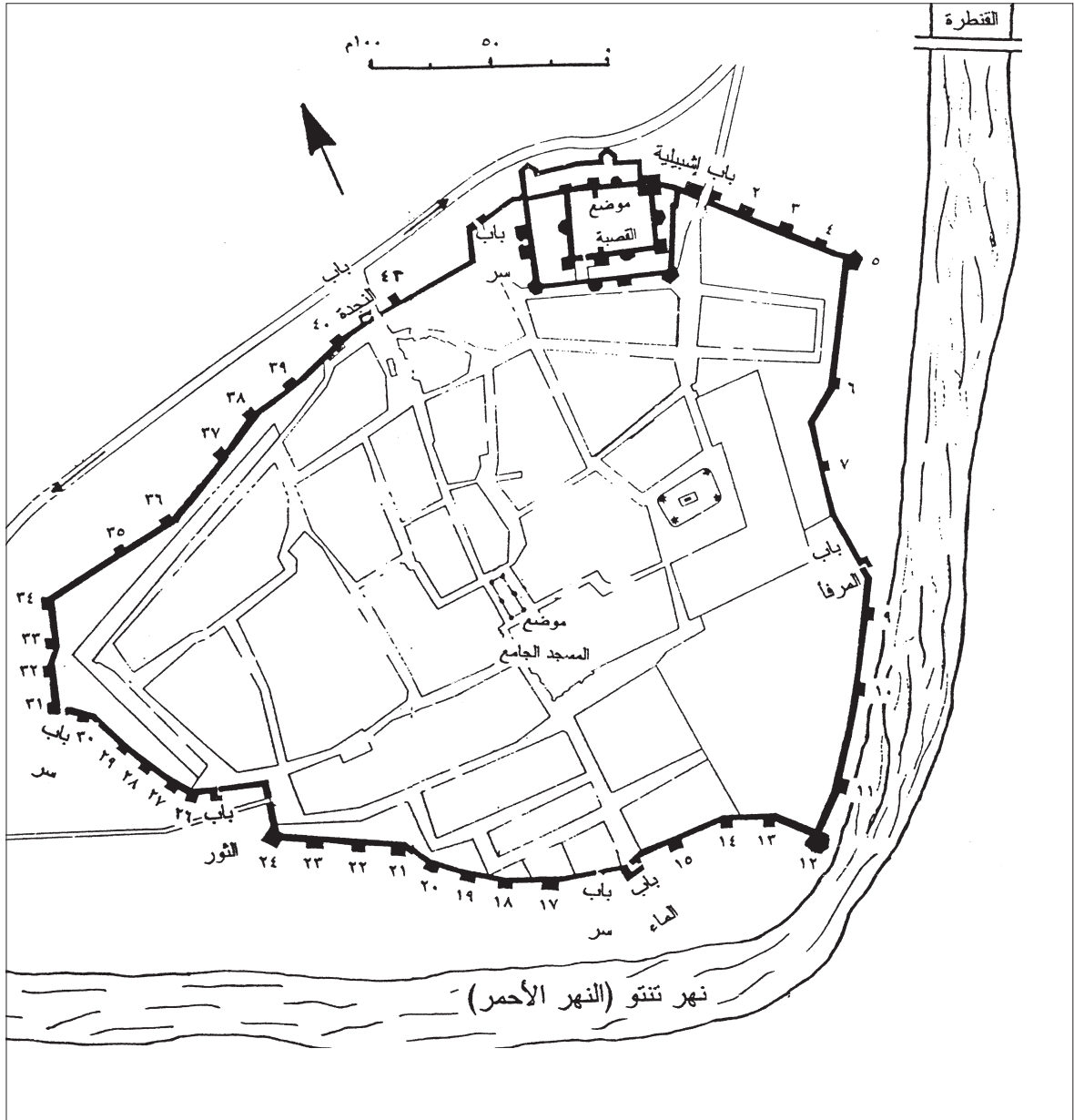
Maldonado, *La Torre*, p. 411. ^{٦٣}

Maldonado, *Arquitectura*, p. 19. ^{٦٤}

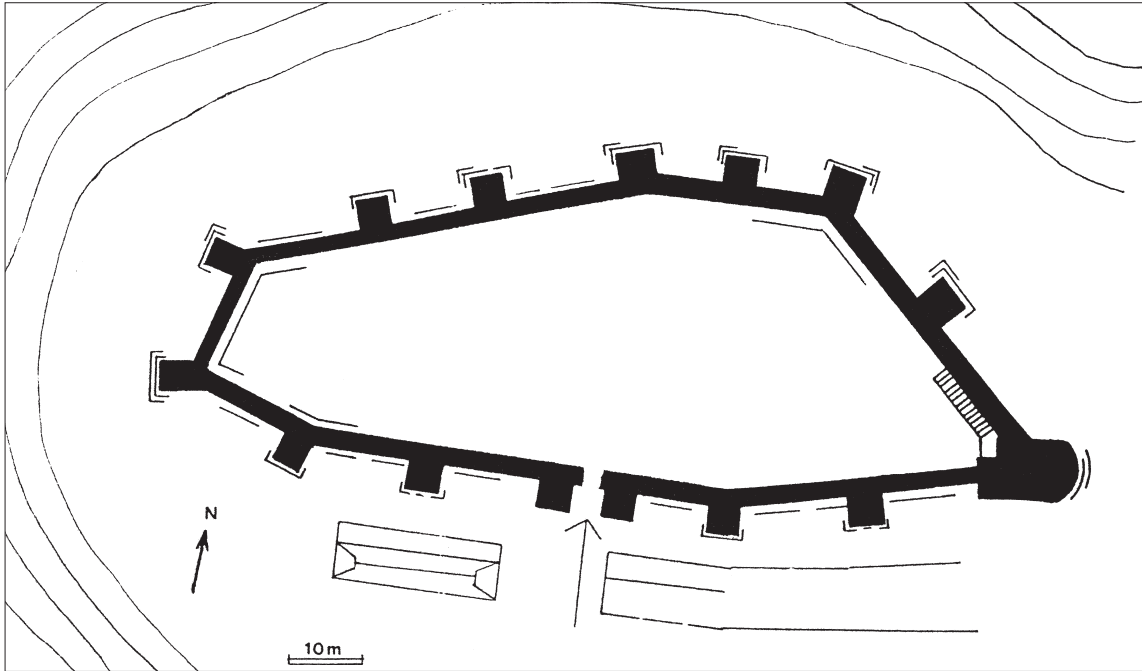
Balbás, Leopoldo Torres, *Nuevas perspectivas sobre el Arte* ^{٦٥} *de al-Andalus bajo los almoravides*, Al-Andalus, vol. XVII,



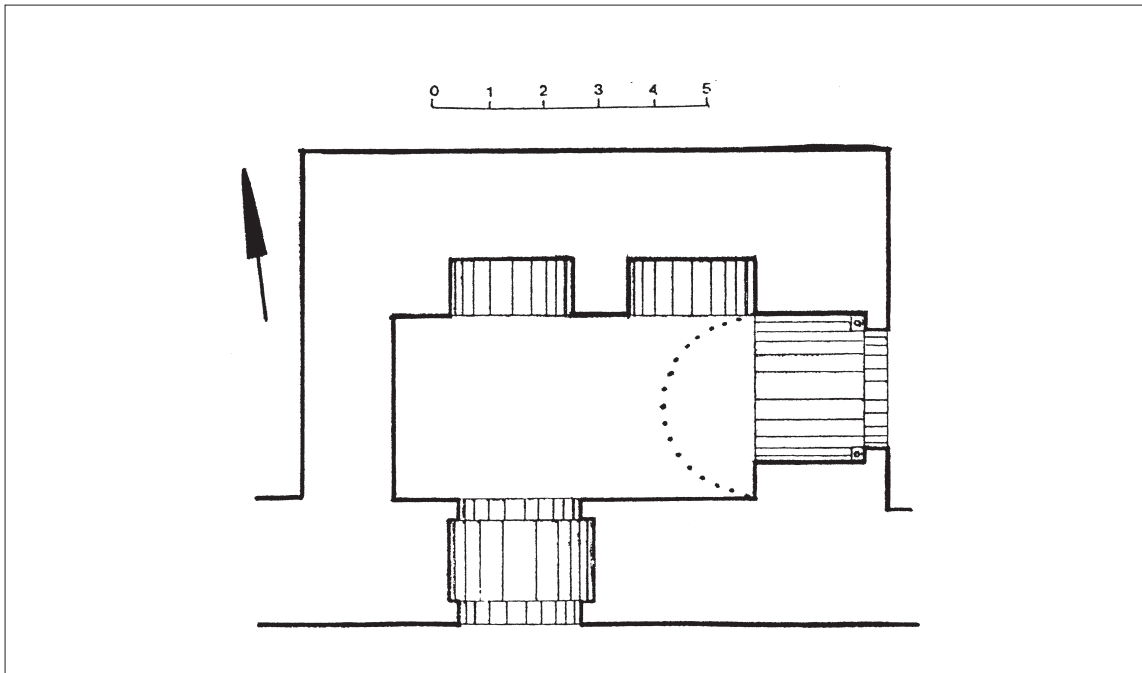
شكل ١. خريطة توضح موقع مدينة لبللة. عن: (كحيلة).



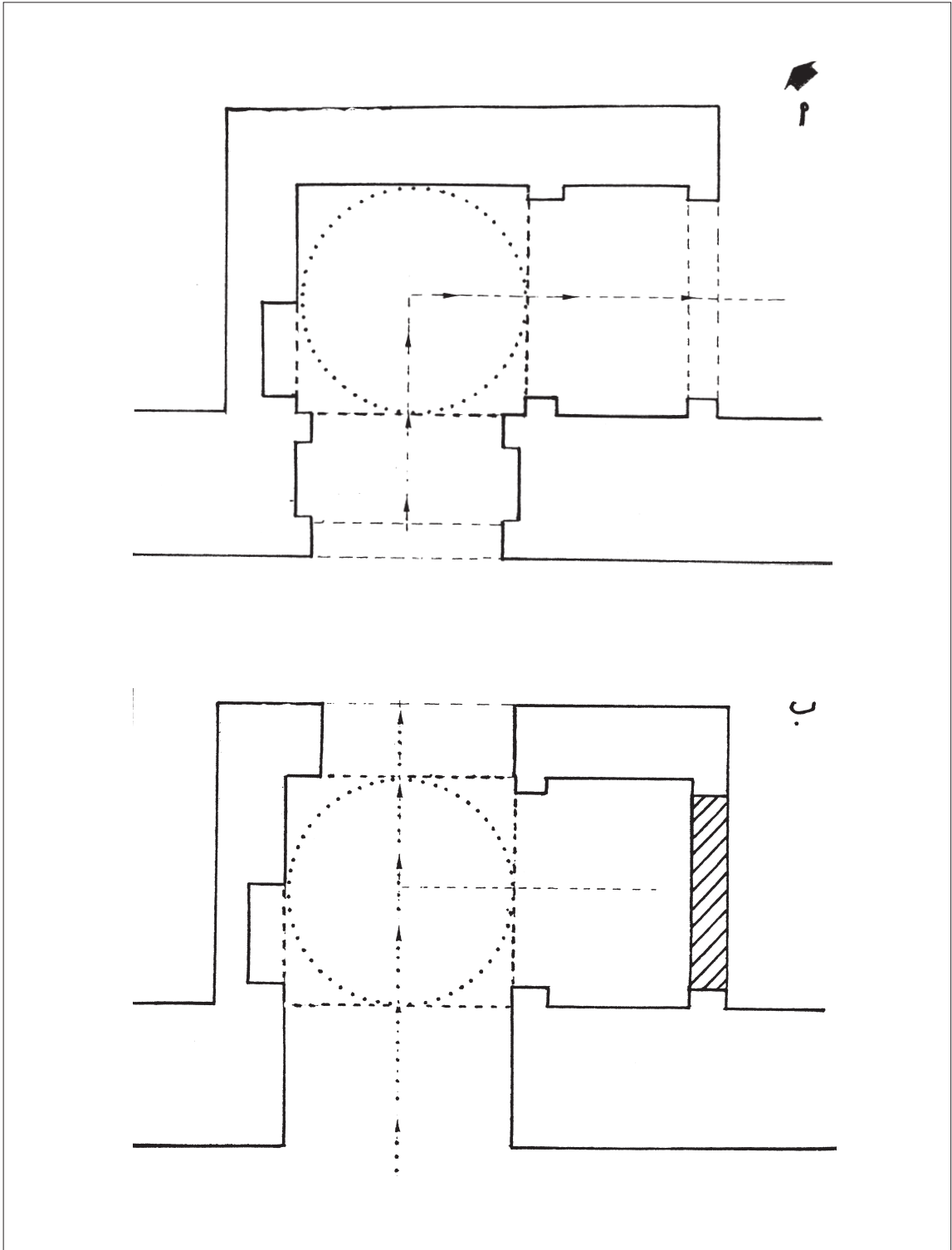
شكل ٢. لبلة. سور المدينة ومعالمها الرئيسية. عن (Moreno) (ترقيم الأبراج وتعريب الباحث).



شكل ٣. قلعة برج الحامة، مسقط عام. عن (Córcoles).



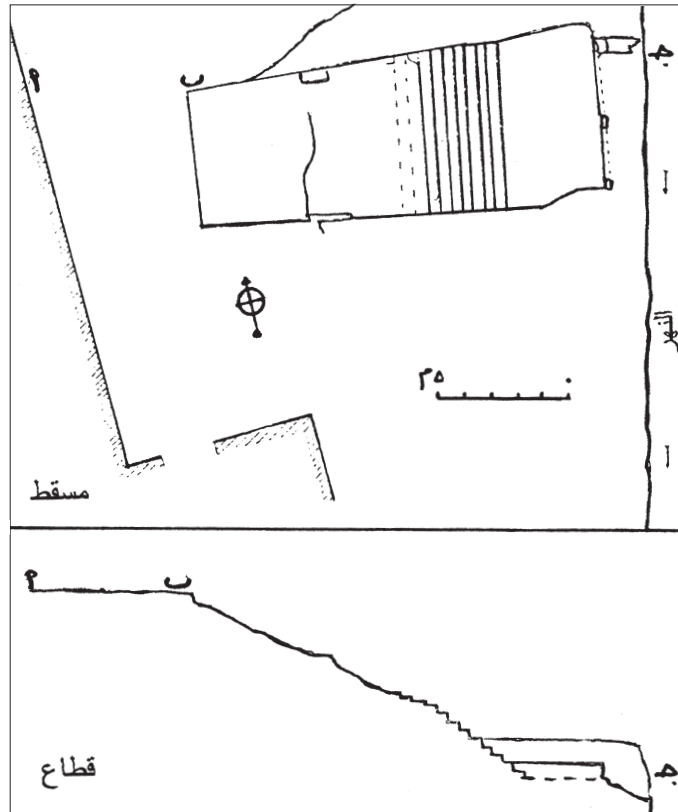
شكل ٤. لبلة. باب النجدة، مسقط أفقي. عن (Maldonado).



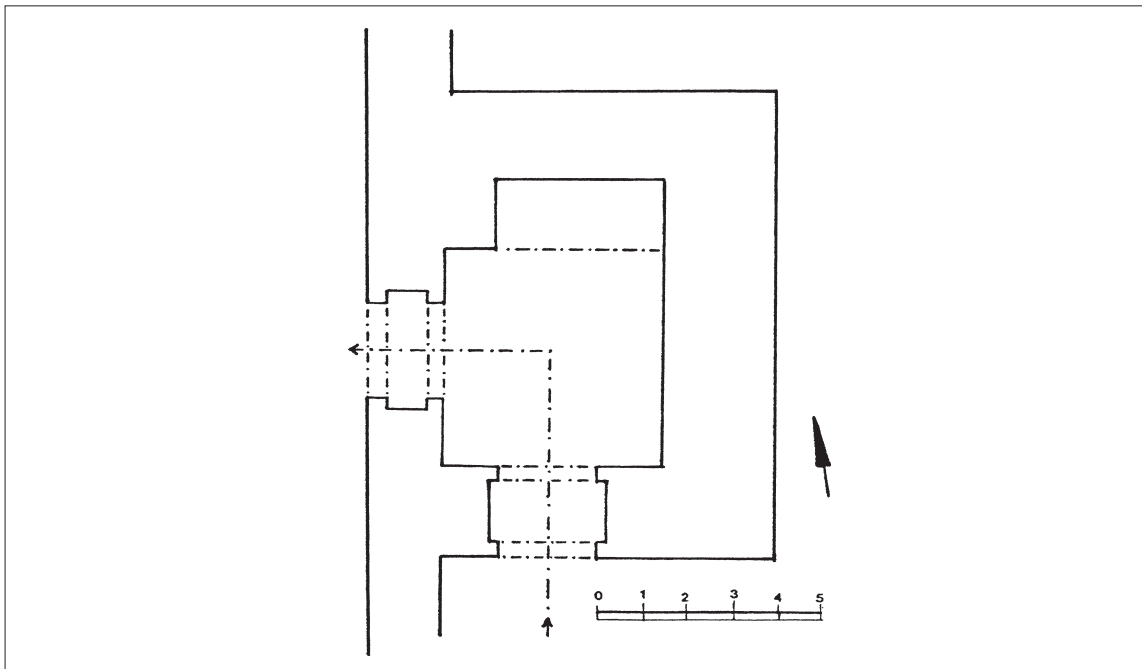
شكل ٥. لبلة. باب إشبيلية، مسقط أفقى. عن (Balbás).

١. عمارة الباب الأصلية.

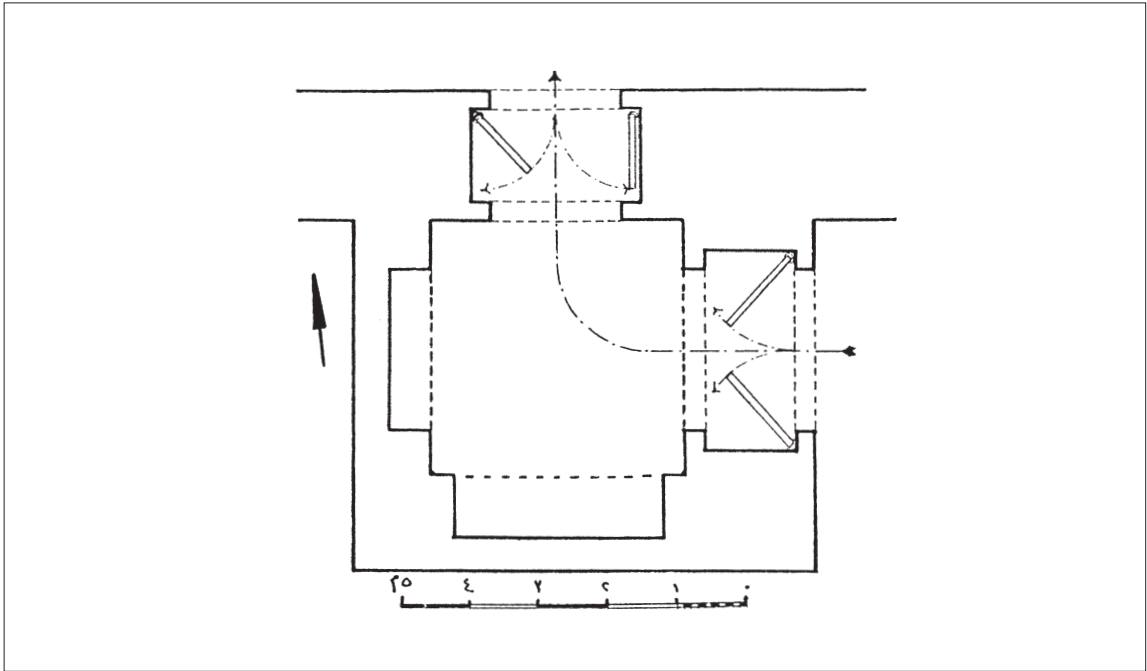
ب. الوضع الراهن للباب.



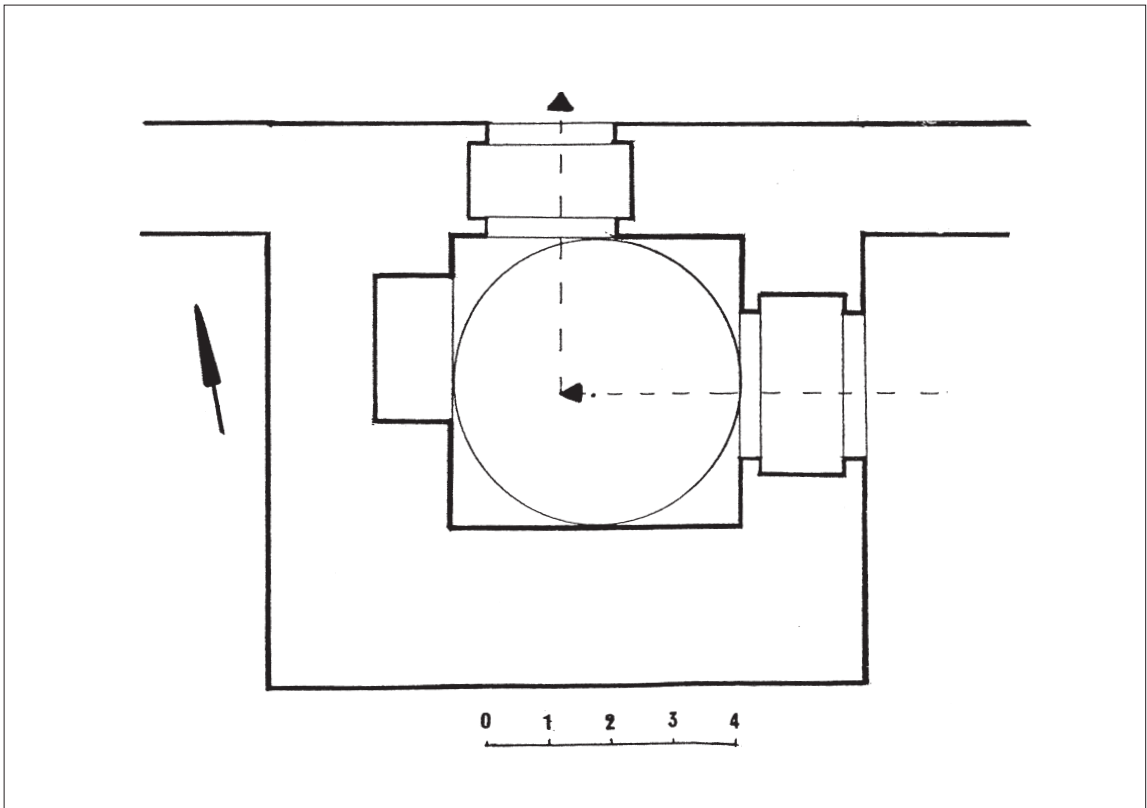
شكل ٦. ليلة. المرفأ أو الميناء، عن (Castro).



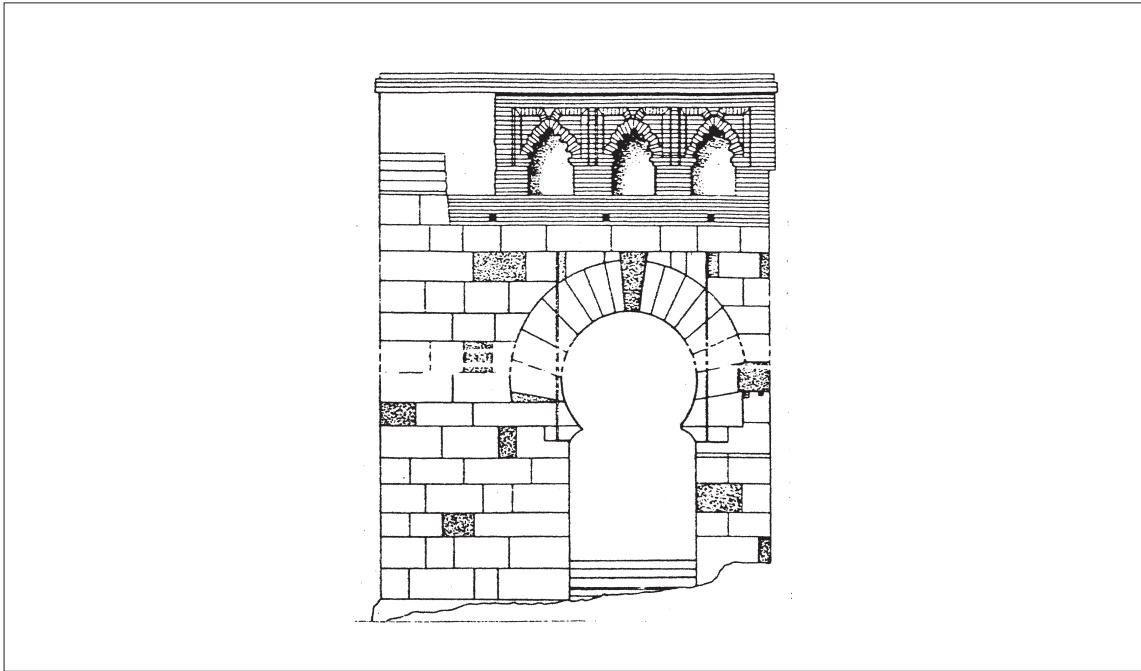
شكل ٧. ليلة. باب المرفأ، مسقط أفقى. عن (Maldonado).



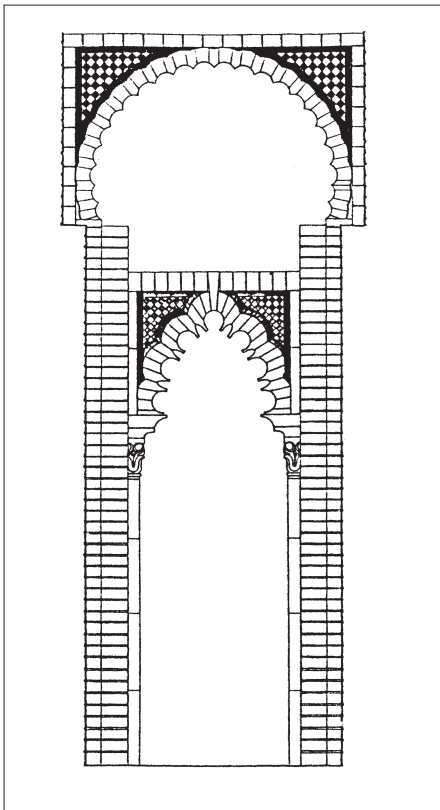
شكل ٨. لبلة. باب الماء، مسقط أفقي. عن (Balbás).



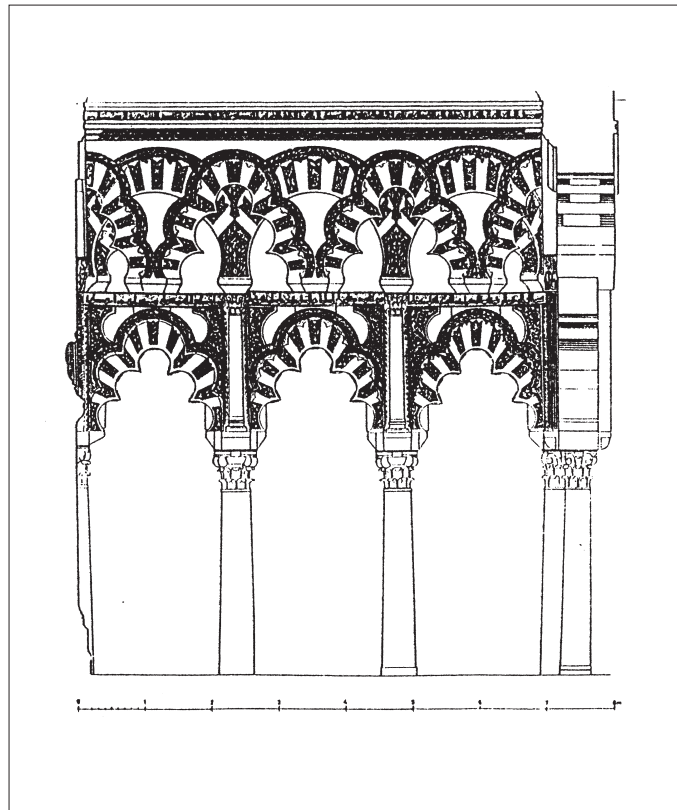
شكل ٩. لبلة. باب الثور، مسقط أفقي. عن (Maldonado).



شكل ١٠. لبلية. باب الثور، الواجهة الشرقية. عن (Guarner).



شكل ١٢. إشبيلية. برج الذهب، عقود دخلات البدن العلوى. عن (Márquez).



شكل ١١. قرطبة. المسجد الجامع، العقود أمام المخراب. عن (Ewert).



صورة ٤. لبلة. الواجهة الخارجية للبرج (٣٧).



صورة ١. لبلة. الواجهة الخارجية للبرج والبرجين (١٧) و (١٨).



صورة ٢. لبلة. تفاصيل الطابية شرق باب إشبيلية.



صورة ٥. لبلة. البرج رقم (٥).



صورة ٣. لبلة. الواجهة الخارجية لباب النجدة والبرج (٤٢).



صورة ٧. استجة. برج مئمن فى إحدى زوايا سور المدينة.



صورة ٦. لبله. البرج رقم (١٢) وإلى يمينه السور الممتد صوب الغرب.



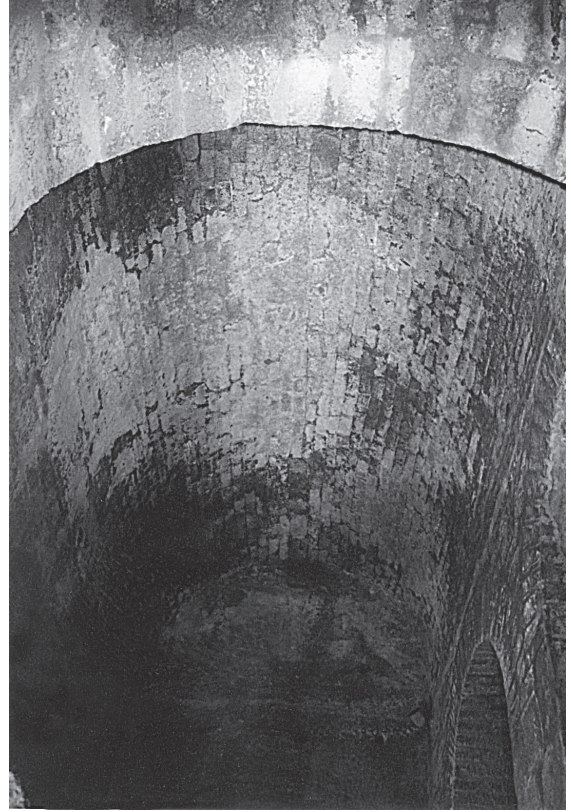
صورة ٩. لبله. باب النجدة، تفاصيل الواجهة.



صورة ٨. قاصرش. برج ديسموتشادا (Desmochada).



صورة ١١. لبلة. باب النجدة، الواجهة الداخلية.



صورة ١٠. لبلة. باب النجدة، سقف ممر المدخل.



صورة ١٣. لبلة. باب إشبيلية، القبة الضحلة التي تغطي المساحة الوسطى.



صورة ١٢. لبلة. باب إشبيلية، الواجهة الخارجية.



صورة ١٥. لبله. باب الماء، الواجهة الداخلية.



صورة ١٤. لبله. باب الماء، الواجهة الخارجية.



صورة ١٧. لبله. باب الثور، الواجهة الخارجية.



صورة ١٦. لبله. باب الماء، سكرجتي الباب.



صورة ١٩. لبله. باب السر بجوار البرج رقم (٣١).



صورة ١٨. لبله. باب السر، غرب باب الماء.